# الفصل الأول

# دعوة الإسلام إلى العلم

## أولاً: مفهوم التربية والتعليم:

ترجع كلمة التربية في أصلها اللغوي العربي إلى الفعل ( ربا ) ( يربو) أي ( نما ) وزاد[1]،وفي التنزيل الحكيم ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[2] وربّ ولده بمعنى رباه وقيل هو من الرب بمعنى التربية، والرباني العالم الراسخ في العلم والدين[3] .

وقد وردت لفظة (ربا) في عدة مواضع من القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى عن الوالدين ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[4] وفسرّ ابن كثير هذه الآية بقوله : (( أي في كبرهما ، وعند وفاتهما ))[5] .

وهكذا يتضمن المعنى اللغوي للتربية عملية النمو والزيادة وأن هذا النمو لابد وأن يكون من جنس الشيء ، ويكون هذا النمو للإنسان بجسمه وعقله وخلقه[6] .

كما أن القرآن الكريم استعمل مفردتي ( التعليم ) و( التعلم ) على نطاق أوسع وبدلالات أكثر تعدداً تتفق جميعها على إضافة العلم بالأشياء إلى غير العالم ليصبح بموجبها عالماً [7] . جاء في سورة الرحمن﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾[8]، ويّفسر ابن كثير ذلك بقوله: علمه بيان الخير والشر[9] وقال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾[10] وتفسير قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ أي : علمه كل شيء[11] .

وجاء في سورة النساء ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ﴾[12] واعلم في هذه الآيات ونظائرها يفيد الانتقال من الجهل وهو الخلو بمعرفة الأشياء إلى امتلاك هذه المعرفة[13] .

والتعليم عندما يقترن بالتربية تكون الأخيرة شاملة لكل جوانب شخصية المتعلم[14] ، لذا كان المسلمون ينتظرون من العلم والمدرس أن يقوما بوظيفيتين أساستين أولاهما : عملية التعليم ، وثانيهما : تأديب الطلبة وتقويم أخلاقهم[15] .

فالغزالي ( ت505هـ/111م) يستدل على أهمية التعليم بقوله : (بالعلم تهذب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة) [16] . وذهب مسكويه (ت421هـ/1030م) إلى أن، الغرض من العملية التربوية كلها هو الارتقاء بالمجتمع الإنساني فقال :

( لأن الفضائل في حقيقة الأمر موجودة لدى الإنسان والمطلوب هو تحفيزها لإظهارها ويحدث ذلك عند تفاعل الإنسان مع غيره فيجد فضائل أعماله التي توصل به مثالية التصرف والأخلاق[17] ) .

واستخدم العلماء المسلمون لفظ التربية فضلا عن مفردات تدل على معنى التربية كالتأديب والتهذيب والإرشاد والتعليم[18] ، وعندما نتأمل في طبيعية التربية الإسلامية نجد أنها دعوة للإيمان، مقرونة بالدعوة إلى العلم والدعوة إلى العبادة مقرونة بالدعوة إلى العلم[19] ، فهي تشمل تنمية الجانب الاجتماعي والنفسي والأخلاقي والجسمي فيه [20] ، لذا فإن الدلالة على التربية تكون بكلمة (مربّ) أعم من كلمة معلم ، لأن المعلم يهتم عادة بالناحية العقلية أكثر من سواها، بينما المربي يهتم بالعقل والجسم والوجدان المؤدية إلى السلوك الإنساني الخلقي المثالي ولذا فإن التعليم هو جزء من التربية فالمربي لا تقتصر مهنته على تلقين بعض المعلومات وإنما يهتم أيضا بتكوين عقل الطفل وتمرينه على التفكير السليم ، كما يهتم بتنمية وجدانه وتهذيب ذوقه وأخلاقه[21] ، لذلك أوجز ما يوصف به النظام التربوي في الإسلامي بأنه نظام متكامل الجوانب لا يهمل بعدا من الأبعاد التي خلق عليها الإنسان وهي الجسم والروح والعقل[22] .

إن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية ، وليس معنى هذا أن نقلل من العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو العلمية أو العملية ، بل معناه أن نعنى بالتربية الأخلاقية كما نعنى بالأنواع الأخرى من التربية فالمتعلم في حاجة إلى قوة الجسم والعقل والعلم والعمل وتربية الخلق والوجدان والإدارة والذوق والشخصية[23] .

## ثانياً: ما جاء في القرآن الكريم من الحض على طلب العلم وتبيان فضله :

انفرد القرآن الكريم قبل أكثر من (1400 سنة ) من بين سائر الكتب السماوية بالإشارة إلى وجوب التعلم لتحرير الإنسان من مذلة الجهل ، لينشئ مجتمعا بشريا جديداً يليق بالمستوى الذي يجب أن يكون عليه الإنسان الذي فضله الله على سائر خلقه[24] ، لذا حفل القرآن الكريم بكل ما يحفز على التعلم ، فاشتملت آياته على معان متنوعة في هذا الموضوع ، وهي في أصالتها تبعث في الإنسان حب العلم سواء كان هذا العلم دينيا صرفا ، أم ذو صلة بالدين[25] .

وقد وردت لفظة علم واشتقاقاتها في القرآن الكريم ستمائة وخمسين مرة مما يؤكد على المكانة الكبيرة للعلم والتعليم عند المسلمين[26] .

بل إن أول آية نزلت على رسول الله محمد(ﷺ) جاءت فيها القراءة بصيغة الأمر قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [27] .

فنظرة متأملة في هذه الآيات الكريمة نرى: أنها جمعت ثلاثة مفاهيم إسلامية في إطار عملية التعليم وهي القراءة ، والقلم ، والعلم ، وهذا أمر لا يمكن تجاهله بل إن ذلك تضمن دلالات واعية مقصورة أرادت القول أن هذا الدين يرتكز على العلم ، والتعلم والعقل بوصفها أساسية في بناء الإنسان[28] .

قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[29] . إذ وعد الله عز وجل المؤمنين أن يرفعهم ثم خص العلماء منهم بأفضل الدرجات[30]، قال الله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[31] وفي الآية جعل سبحانه كلمة التوحيد مقصدا للإثبات ثم استشهد عليها بذاته وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم من عباده[32] وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾[33] وقال تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[34] .

فاقتضت الآيتان أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية لذا فإن العلماء هم خير البرية[35] .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[36] والحكمة إصابة الحق والعمل به وهي العمل النافع والعمل الصالح[37].

كما وضح القرآن الكريم فضل المتعلم على الجاهل وأن الجاهل لا يستوي مع العالم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[38] وقال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[39]. كما أن القرآن الكريم أحتوى ذكراً لأدوات الكتابة المستخدمة في عملية التعليم فأشارة إلى القلم وهو أداة الكتابة وبه يتم حفظ العلم في الصحائف[40] ، كما أشاد الله به بقوله:(علم بالقلم) حيث إن الله تعالى قد علم به وهذا أعلى مراتب الشرف مع أنه سبحانه وتعالى قادر على التعليم من غير القلم[41] كما أقسم به في القرآن الكريم ، حيث قال:﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[42] .

وذكر القرآن الكريم القرطاس، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾[43] . وقوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾[44] ، كما أشار إلى الألواح ، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[45] وهي مؤشرات على أهمية أدوات الكتابة والتعليم .

وذهب القرآن الكريم إلى الحض على أهمية الرحلة في طلب العلم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾[46] وبذلك يفتح بابا مهما من أبواب المعرفة والتعليم .

## ثالثاً: ما جاء في السيرة النبوية من الحض على طلب العلم وتبيان فضله:

جاءت دعوة الرسول(ﷺ) إلى العلم وتبيان أهمية نشره مكملة لما جاء به القرآن الكريم ، فالرسول (ﷺ) منذ بداية رسالته بين أهمية العلم والتعليم وحض عليه ففي فضل العلم والعلماء ، قال (ﷺ):( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ) [47] .

وقال (ﷺ) : ( فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع ) [48] وقال : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وأنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ، ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ) [49] .

وأكد الرسول (ﷺ) على أهمية تبليغ العلم فقال :( نَضّر الله أمرأً سمع منّا شيئاً فبلغه كما سمع فَرُبّ مبُلّغ أوعى من سامع ) [50] .

وعدّ الرسول (ﷺ) طلب العلم فريضة فقال : ( طلب العلم فريضة على كل مسلم ) [51] . وهذه جل ما جاء في السعي والبحث عن العلم وطلبه[52] .

وعن أهمية العلم قال الرسول (ﷺ) :( إذا مات الإنسان انقطع عمله الإ من ثلاثة أشياء من صدقة جارية أو علم ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له ) [53] .

وضرب لنا الرسول (ﷺ) مثلا حيا في عظم أهمية العلم والتعليم ، ففي السنة الثانية للهجرة أُسر سبعون شخصا من المشركين في معركة بدر، فأمر الرسول (ﷺ) أنه من يستطيع أن يعلم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة يطلق سراحه فقد كان قسم من أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون[54] .

كان المسلمون وهم في بادئ أمرهم بحاجة إلى المال والسلاح مع ذلك كانوا يقدمون تعليم الغلمان الكتابة على ذلك وهذا يدل على شدة العناية بالتعليم .

وأكد الرسول (ﷺ) على أن العالم والمتعلم في الأمر شريكان فقال: (الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما كان فيه ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم ) [55] .

ومهما يكن من أمر فإنه من المسلم به أنه بظهور الإسلام صار الإقبال على الكتابة والتعليم عاما وشاملا ، ولاشك في أن للدين الإسلامي الحنيف بعامة والنبي محمد (ﷺ) بخاصة أثراً كبيراً في نشر التعليم بين عامة الناس، حيث كان شعاره مجانية التعليم في الإسلام[56] .

## رابعاً : أهم العوامل التي ساعدت على تطور العلوم والتدوين عند العرب بعد الإسلام

### 1- القرآن الكريم يدعو إلى العلم والبحث والتفكر وإمعان النظر:

إن العرب لم يكن لديهم اهتمام بشؤون القراءة والكتابة إلاّ في القليل النادر بما عثر عليه من نقوش جنوب الجزيرة العربية وعلى طريق القوافل التجارية تجاه بلاد الشام ونواحيها[57] ، أما بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم فقد تغير الأمر كثيرا بالنسبة إلى العرب ، حيث انقلب أمرهم على نحو جذري في كافة الشؤون السياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية والعلمية ، فأصبحوا هم قادة هذه الميادين لا في الجزيرة العربية فحسب وإنما خارجها أيضا بعد الفتوحات التي شهدتها البلدان المجاورة وانتشار الإسلام فيها على يد العرب .

وفي فجر الإسلام على عهد الرسول (ﷺ) أقبل الصحابة على التعليم استجابة للمتطلبات الجديدة التي يدعو إليها القرآن الكريم في كثير من الآيات في بيان فضل العلم والعلماء وضرورة القراءة والكتابة ليفهم الناس أحكام الدين وتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدوينه أولا بأول ، حيث كان الرسول (ﷺ) يحفظه عن الوحي ثم ينقله إلى أصحابه فيحفظونه في ذاكراتهم ويدونونه على الرقاق وكان هؤلاء المدونون يحرصون بشدة على حفظه مكتوبا زيادة على حفظه في الذاكرة وكان يطلق على هؤلاء المدونيين كتبه الوحي ويزيد عددهم عن أربعين صحابياً[58] .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل معنى التدوين أو الدعوة إلى العلم أو تفضيل العلماء على غيرهم منها قوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[59] . وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[60] .

وقد خاطب القرآن الكريم عقول الناس وحث على تقصي الحقائق والبحث في أصولها قبل الحكم عليها بالإيجاب أو السلب ، وحث على الاستقرار لإزالة الخرافات والشبهات ، كما أطلق القرآن الكريم حرية التفكير والإبداع والبعد عن التقليد الأعمى بالدليل القاطع. والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[61] وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ

جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[62] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[63] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[46] وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[56] وقوله تعالى:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[66] وقوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[76] وقوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[86].

ولهذا فإن علماء المسلمين أمام هذه الآيات الكريمة الواضحة البينة لم يسعهم الإ أن يسيروا على منهجها للوصول إلى الحقائق الصحيحة التي تقوم على الصدق والأمانة والإخلاص والموضوعية ونقد الأشياء وإجراء التجارب وطلب البراهين والأدلة وتحكيم العقل والاستمرار بعيدا عن التقليد الأعمى والاستسلام فخاض علماء المسلمين غمار العلوم وميدانيها الواسعة فأصبحوا خلال عقود قليلة سادة العالم في جميع المجالات العلمية .

وهذا هو المنهج الذي سار عليه علماء الحديث في القرن الثاني الهجري لتنقية أحاديث الرسول (ﷺ) ومارس عليه ابن الهيثم تجاربه في علم الضوء ، ومارس عليه الرازي في علم الطب ، ومارس عليه ابن البيطار في علم النبات والخوارزمي في علم الحساب والجبر وغيرهم مما لا مجال لحصره عند الكثير من علماء المسلمين ، وهذا ما شهد به علماء الغرب والمستشرقون مثل زيغريد هونكه[96] .

لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس، كما أنهم لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب من غير مناقشة أو تحقيق ، فمنذ البدء أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية الذين استقبلوا بهما نتائج السالفين وأقوالهم ليشبعوها بحثا ونقدا وتفنيدا وتحقيقا للأخطاء ودحضها وعملا دائبا في الحقل الجديد من غير ان تغشى أبصارهم غاشية صيت ذائع ، ومن غير أن يدخل الوجل إلى قلبهم اسما كبيرا فيرهبهم ولعل ابلغ برهان على هذه الصفة التي كانت تقضي بألا يؤمنوا حقا إلا بالأشياء التي تثبت صحتها التجارب وتدعمها ما نراه من عناوين المخطوطات التي كانت تسعى إلى نقد كتب أرسطو نفسه أو بطليموس .

**2- الحديث الشريف :**

بالرغم من أن الرسول (ﷺ) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، إلاّ انه دعا أصحابه إلى تعلم القراءة والكتابة لأهميتها في الإسلام ، وقد ثبت عنه أنه سمح بإطلاق أسرى بدر من قريش مقابل تعليم كل واحد منهم لعشرة من صبيان المدينة ، كما استخدم الرسول (ﷺ) من أصحابه كتبة يكتبون رسائله إلى حكام عصره لدعوتهم إلى الإسلام ، وأمر الرسول (ﷺ) بكتابة الوثيقة (الصحيفة) التي نظمت حياة الناس في المدينة بعد هجرة الرسول (ﷺ) إليها من مكة وهي الوثيقة التي تعد بمثابة الدستور الذي يلزم الناس على نظام معين ، أهمها أن تكون مرجعية الناس كلهم في المدينة الرسول (ﷺ) كما سمح لأصحابه ان يتعلموا لغات أخرى غير العربية كالقبطية والفارسية والسريانية[07] .

ومما ورد عنه (ﷺ) في طلب العلم :( من يرد الله به خيرا يفقه في الدين ) [17] (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [27] (العالم والمتعلم شريكان في الخير ) [37] .

وفي بداية الإسلام كان الرسول (ﷺ) ينهى أصحابه عن تدوين أحاديثه خوفا من الاختلاط بالقرآن الكريم ، إلا أنه سمح بذلك حين انتشر الإسلام وكثر الحفاظ والمتعلمون وأمن الرسول (ﷺ) ممن الخلط بين أحاديثه والقرآن الكريم فكان كثير من الصحابة يدونون خلف الرسول (ﷺ) لتبليغ ما يقول. منهم سعد بن عبادة الأنصاري (ت51هـ/636م) وسمرة بن جندب (ت06هـ/976م) وعبد الله بن عمر وبن العاص( ت56هـ/486م) ابو هريرة (ت95هـ/876م) [47] .

وفي القرن الأول الهجري كان الصحابة والتابعون يتداولون أحاديث الرسول (ﷺ) مشافهة مع الحرص الشديد على الدقة في الرواية خوفا من الزيادة أو النقصان وخوفا من الانشغال عن كتاب الله .

ثم ظهرت الفرق الإسلامية وكثر التقول على لسان الرسول (ﷺ) بقصد أو عن جهل لأغراض وأهداف مختلفة ، فانبرى للحديث الشريف جماعة من المهتمين به فطافوا البلدان للتحري والبحث والتنقيب والجمع لكل ما ذكر عن الرسول (ﷺ) وقد وضع هؤلاء المحدثون نظاما صارما لقبول الروايات وبيان الصحيح منها من غير الصحيح ، ورحلوا إلى البلاد لهذا الغرض ، وتحملوا المشاق الصعبة لخدمة أحاديث رسول الله (ﷺ) [57] .

ونتيجة لهذه الجهود ظهر علم الجرح والتعديل وعلم الإسناد وعلم مصطلح الحديث ، وظهرت أنواع الأحاديث بحسب أسانيدها ومتونها ، وظهرت بجانب ذلك أهمية السيرة النبوية وغزوات

الرسول (ﷺ) والدعوة بمكة والمدينة وأعمال الصحابة وتضحياتهم وأنسابهم ، مما أدى إلى التوسع في تدوين السيرة على نطاق واسع .

**3- الفتوحات الإسلامية :**

حيث اتسعت دولة الإسلام ودخل الأعاجم في دين الله وانتشرت اللغة العربية بينهم ، واطلع العرب على ما عند الأمم الأخرى من علوم فترجمت إلى اللغة العربية ، واتسعت النظم الإسلامية على اختلاف أنواعها ، ودونت الدواوين ، وأصبح الاعتماد على الذاكرة أمراً مستحيلا بعد احتكاك المسلمين بغيرهم من أهل الثقافات المختلفة[76] .

**4- اهتمام الخلفاء بالعلم والتدوين والتأليف :**

فقد أنفقوا عليها بسخاء وكثر النساخ وخاصة للقران الكريم والحديث الشريف والعلوم الأخرى التي تخدمها كالفقه والتفسير، وكثر المتعلمون وانتشرت المدارس بجانب المساجد واستدعى الخلفاء العلماء وكلفوهم بكتابة العلوم المختلفة، وظهرت طبقات مختلفة من الإخباريين والنسابين والمحدثين والمؤرخين، واتسعت العلوم النقلية والعقلية على نطاق واسع[77].

**5- صناعة الورق:**

انتشرت بين العامة والخاصة من المسلمين وخاصة في العصر العباسي الأول بعد أن تعلم العرب صناعته عن أهل خراسان مما شجع العلماء على أن يتخذوا لهم كتبه يكتبون لهم مؤلفاتهم بالأجرة وهؤلاء هم الوراقون الذين كانوا يجلسون في الأسواق يكتبون للناس بالأجر .

ثم تطور عمل النساخ إلى تجليد ما يكتبون وزخرفة وتذهيب نسخهم وهي التي أطلق عليها المخطوطات الإسلامية التي ملأت المكتبات والمساجد والبيوت بما يعد نهضة علمية لا سابقة لها في تاريخ الشعوب[78] .

**6- انتشار المدارس والمكتبات في المدن الإسلامية :**

اتخذ المسلمون من المساجد في بداية أمرهم أماكن يتداولون فيها القراءة والكتابة بعد أداء صلواتهم ، ويحفظون آيات القرآن الكريم، ثم انتشرت الحلقات العلمية في المساجد على نطاق أوسع